ISSN PORTAL : 3006-1822 - مجلة البحوث والدراسات العربية

المقاومة الفلسطينيّة في الخطاب الحقوقيّ الدوليّ: تطبيق التحليل النقديّ للخطاب على لغة حقوق الانسان

Palestinian Resistance in International Human Rights Discourse: Applying Critical Discourse Analysis to the Language of Human Rights

د. خلود كنيس السعيدي
المعهد العالي للّغات، جامعة قابس، تونس

Abstract

This paper examines the discourse structures in reports issued by two international human rights organizations on Palestine in the period following the events of October 7, 2023. It aims to demonstrate the intersection between the textual structure of discourse and the balance of power and hegemony in the world, and the extent to which this relates to the representation of Palestinian resistance against the occupation. To achieve this, the paper adopts the Critical Discourse Analysis (CDA) Model to deconstruct discourse, specifically Van Dijk's Cognitive Approach, and the relationship of textual structures to the mental and ideological representations of things. It also uses Fairclough's Textual Analysis and its relationship to political practices to analyze lexical choices (syntactic and semantic structures, assumptions, etc.), and interpret these choices in the light of their relationship to Western hegemony. One of the most important findings of the research is the presence of ideological and political biases in international human rights discourse. This discourse, through the textual structures used, does not recognize Palestinian resistance, despite its legitimacy in international treaties and conventions. It considers the occupying entity an independent state, and the attacks against it a violation of international conventions and a form of terrorist activity. This confirms the connection between the perspective of human rights discourse, Western values, and the political hegemony of influential international powers.

Keywords: human rights discourse; human rights; critical analysis of discourse; Palestinian resistance; language and hegemony.

الملخّص

نسعى في هذه الورقة إلى فحص هياكل الخطاب في تقارير صادرة عن منظّمتين حقوقيّتين دوليّتين في الفترة الّتي أعقبت أحداث 7 أكتوبر 2023 في فلسطين، لتبيّن تقاطع البنية النصيّة للخطاب وموازين القوى والهيمنة في العالم، ومدى علاقة ذلك بكيفيّة تمثيل المقاومة الفلسطينيّة ضدّ الاحتلال. ولتحقيق ذلك نتبّع منهج التحليل النقدي للخطاب (CDA) في تفكيك الخطاب، وتحديدا منهج "فاندايك" العرفاني وعلاقة البنى النصيّة بالتمثّل الذهنيّ والأيديولوجيّ للأشياء، واستثمار التحليل النصّي عند "فاركلوف" وعلاقته بالممارسات السياسيّة، من خلال تحليل الاختيارات المعجميّة، والبنية التركيبيّة والدلاليّة، وبنية النصّ، والإجمال والتفصيل في الوصف، والافتراضات، إلخ، ثمّ تفسير تلك الاختيارات في ضوء علاقتها بالهيمنة الغربيّة. من أهمّ نتائج البحث وجود تحيّز أيديولوجيّ سياسيّ في خطاب حقوق الانسان الدوليّ، حيث لا يعترف هذا الخطاب من خلال الهياكل النصيّة المستخدمة بالمقاومة الفلسطينيّة، رغم شرعيّة ذلك في المعاهدات والمواثيق الدوليّة. ويعتبر الكيان المحتلّ دولة مستقلّة الذات، والاعتداءَ عليها انتهاكا للمواثيق الدوليّة، ومقاومةَ ممارساتها ضدّ الشعب الفلسطينيّ مظهرًا إرهابيّا، ما يشرّع صدّه في إطار قانون "الحرب على الإرهاب" الناشئ عند الغرب. وهو ما يؤكّد ارتباط منظور الخطاب الحقوقي بالقيم الغربيّة والهيمنة السياسيّة للقوى الدوليّة الفاعلة.

كلمات مفاتيح: الخطاب الحقوقيّ. حقوق الانسان. التحليل النقديّ للخطاب. المقاومة الفلسطينيّة. اللغة والهيمنة.

المقدّمة

يحظى مفهوم "حقوق الانسان" بدعم مجموعات مختلفة في جميع أنحاء العالم، ومع ذلك فهو أيضا موضع شكّ، فغالبا ما تفتقر لغة حقوق الانسان إلى الوضوح المفاهيميّ ما يجعلها عرضة للإساءة والتسامح مع المعايير المزدوجة. ويعود ذلك، إلى حدّ كبير، إلى المخاوف بشأن الهيمنة الغربيّة، خاصّة في المجتمعات الراضخة تحت القوى الاستعماريّة، والحال أنّ تقاليد حقوق الانسان قد نشأت في الغرب واستندت إلى القيم الغربيّة. ومع ذلك تتدّعي العالميّة.

إنّ تصرّف العالم الغربيّ وفقا لحقوق الانسان "العالميّة" لفرض هيمنته يجعل من لغتها استراتيجيّة سياسيّة لتبرير تدخّله في الشؤون الداخليّة للدول الأخرى. إذ أصبحت حقوق الانسان أداة من أدوات السياسة الدوليّة وهيمنت لغتها على الخطاب السياسيّ، واستئناسا بفكرة ارتباط لغة حقوق الانسان بالسلطة

والهيمنة واستخدامها لإضفاء الشرعيّة على القرارات السياسيّة بما في ذلك شنّ الحروب، فإنّ هناك حاجة مشروعة للتفكير في طبيعة آليّات السلطة الواردة فيها.

من هذا المنطلق يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: كيف تعمل لغة حقوق الانسان أيديولوجيّا وسياسيّا؟ ماهي الآليات الكامنة وراء الهياكل النصّية الداعمة لعلاقات القوّة في بنية الخطاب ؟ كيف تتجلّى المعايير المزدوجة في تمثّل حقّ الشعب الفلسطينيّ في المقاومة، من خلال الخطاب؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يتمّ فحص لغة حقوق الانسان من خلال كيفيّة تمثيل المقاومة الفلسطينيّة في الخطاب الحقوقيّ الدوليّ، باعتبارها مثالا تتجلّى من خلاله ازدواجيّة معايير حقوق الانسان، وعدم وجود فهم عالميّ لها.

يؤثّر موضوع البحث في اختيار المنهج المناسب للتحليل، ولئن وُجدت العديد من المناهج لإجراء تحليل الخطاب، فإنّ التحليل النقديّ للخطاب يعتبر المقاربة الأكثر شمولا للكشف عن الطبيعة المترابطة للخطاب والسلطة والأيديولوجيا والظواهر الاجتماعيّة والسياسيّة. ويهدف إلى تسليط الضوء على البعد اللغويّ الخطابيّ للفعل الاجتماعيّ، والكشف عن تأثير وظائف اللغة في بناء السلطة.

بناءً على ذلك فإنّ التحليل النقديّ للخطاب هو المنهج المناسب لهذا البحث، فهو منهج يهدف إلى تفكيك الخطاب، والكشف عن علاقات القوّة الخفيّة وأجندات الجهات الفاعلة، وهو بذلك أداة تحليليّة لدراسة خطاب حقوق الانسان وأبرز مفاهيمه واختياراته اللسانيّة في التعامل مع القضيّة الفلسطينيّة، وتحديدا بعد الأحداث الّتي شهدتها فلسطين بعد السابع من أكتوبر سنة 2023.

ينقسم العمل إلى قسمين أساسيّين، يتناول القسم الأوّل الإطار النظريّ والمنهج المتّبع في تحليل المدوّنة، ونحاول فيه مناقشة المفاهيم الأساسيّة للدراسة بإيجاز، مثل "حقوق الانسان"، "السلطة"، "الخطاب"، ونسلّط الضوء في المنهج على التحليل النقديّ للخطاب(C.D.A)، مفهومه وأهدافه و أهمّ مقارباته.

أمّا القسم الثاني فهو تطبيقيّ نسعى من خلاله إلى الكشف على التحيّز الموجود في خطاب حقوق الانسان، وذلك بتطبيق التحليل النقديّ للخطاب على مجموعة مختارة من تقارير حُقوقيّة، بتركيز الاهتمام على التحليل النصّي وعلاقة هياكل الخطاب بالأيديولوجيا والهيمنة الغربية.

الإطار النظريّ لتحليل المدوّنة

1. المفاهيم الأساسيّة

1.1. حقوق الانسان

وصفت حقوق الانسان بأنّها تلك الأنشطة والظروف الحياتيّة والحرّيات الّتي يحقّ لجميع البشر التمتّع بها، بحكم انسانيّتهم، وبغضّ النظر عن أوضاعهم وأعراقهم وانتماءاتهم. ويُنظر إلى حقوق الانسان على أنّها متأصّلة ولا يمكن التنازل عنها عندما تُنتهك من جهة معيّنة. إضافة إلى أنّها مترابطة وغير قابلة للتجزئة. أي لا يمكن التعامل معها بشكل انتقائيّ.

يعتمد تمتّع فرد من الأفراد بحقوق الانسان، على الاحترام العالميّ لهذه الحقوق، ولبقيّة أفراد المجتمع. ما يجعلها تتجاوز التقاليد الثقافيّة الخاصّة بالمجتمعات. وهي ملزمة قانونيّا من خلال المعاهدات الدوليّة الّتي تضع قواعد ومعايير لكيفيّة معاملة الناس بعضهم لبعض. وقد تمّ الاعتراف بفئات مختلفة من حقوق الانسان، بما في ذلك الحقوق الأساسيّة كالحقّ في الحياة وعدم التمييز، والحقوق الاجتماعيّة والسياسيّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة... ولضمان عدم انتهاك هذه الحقوق أُنشئت هيئات قانونيّة تمكّن أصحاب الحقوق من اللجوء إليها لإنصافهم.

بدأ إنشاء ما يُعرف بالنظام الدوليّ لحقوق الانسان مع قيام منظّمة الأمم المتّحدة في أعقاب الحرب العالميّة الثانية. وتوسّع ليشمل مجموعة عامّة من المعاهدات، والقوانين المحليّة، ومجتمعا دوليّا من الهيئات الدوليّة والإقليميّة والوطنيّة لرصد حقوق الانسان والتصدّي لانتهاكات تلك الحقوق. وينبغي مع ذلك إيلاء اهتمام خاصّ بـ"الشرعيّة الدوليّة لحقوق الانسان" الّتي تشمل الإعلان العالميّ لحقوق الانسان والمعاهدات الخاصّة بالحقوق المدنيّة الّتي تسمح للأفراد بالمشاركة في المجتمع والعيش بكرامة. وتشمل الحريّات الضامنة للخصوصيّة الفرديّة. والحقوق السياسيّة الّتي تسمح للناس بالمشاركة في الحياة السياسيّة، وتهدف الحقوق الاقتصاديّة إلى ضمان حصول الأفراد على ما يكفي من المال والموارد الاقتصاديّة الأخرى للعيش بكرامة داخل المجتمع. أمّا الحقوق الاجتماعيّة فهي الّتي ينتظرها الأفراد من العيش في المجتمع مثل الحقّ في السكن والرعاية الصحيّة والتعليم... بينما تمكّن الحقوق الثقافيّة الأفراد من ممارسة ثقافتهم بحريّة وتشمل مثلا الحقوق اللغويّة والدينيّة .

هل يتمتّع الشعب الفلسطينيّ بهذه الحقوق؟ وهل له الحق في النضال من أجلها، إذا لم يقع إنصافه بالتصدّي قانونيّا لمن حرمه منها؟ وهل فعلا هذه الحقوق عالميّة؟ وأنّ الخطاب الحقوقيّ الدوليّ هو خطاب موحّد في التعامل مع جميع الشعوب على اختلاف أعراقهم وانتماءاتهم الدينيّة والثقافيّة؟

2.1 الخطاب والسلطة

إنّ تعريف الخطاب ضروريّ في هذا البحث، فليس الخطاب كالنصّ بمفهومه اللّسانيّ الصِرف. إذ هو شكل من أشكال التفاعل بين مستويات متنوّعة، سيرورة عابرة للتخصّصات، اقترن تعريفه بمجالات متعدّدة كالأدب والفلسفة واللّسانيّات وعلم الاجتماع.

يتّخذ تعريف الخطاب اتّجاهين : الاتّجاه البنيويّ (Structuralist) أو الشكلانيّ (Formalist) والاتّجاه الوظيفيّ (Functionalist). يعتبر الأوّلُ الخطابَ وحدة لغويّة أكثر امتدادا من الجملة مع مراعاة الخصائص الّتي تربط الجمل بعضها ببعض، إذ لا بدّ أن يكون أيّ نسق من الجمل على نحو من الاتّساق والانسجام ليشكّل خطابا. ويعتبر هاريس (Harris) أوّل من ذهب إلى هذا المعنى عندما اعتبره "ملفوظا طويلا أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سليمة من العناصر المنهجيّة التوزيعيّة بشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محض".[1] لا يهتم هذا المنظور للخطاب بالسياق الّذي أنتج فيه النصّ، ولا بعلاقة المتكلّم بالمخاطب، ولا بالأغراض الّتي صُمّم من أجلها الخطاب. وإنّما درس في بنيته على غرار دراسة الجملة، وابتكر ما يسمّى بنحو النص.

على خلاف الاتّجاه الشكليّ يعتبر الاتّجاه الوظيفيّ الخطابَ لغة قيد الاستعمال، لا يمكن أن يقتصر تحليله على وصف الجانب الشكليّ المستقلّ عن الأغراض. بل أنّ اللغة تُستعمل لتدلّ على شيء، أو لتفعل شيئا، وهذا المدلول أو الفعل مرتبط بسياق إنتاجه. وبناءً على ذلك فالخطاب في مفهومه الوظيفيّ يتجاوز الاهتمام بالأشياء في ذاتها إلى الكيفيّة التي تعمل بها هذه الأشياء.

يشير الخطاب من هذا المنطلق إلى نصّ مخصوص منطوق أو مكتوب، تحكمه قواعد وأعراف معيّنة ومعان مشتركة ضمن سياق اجتماعيّ محدّد. فالخطاب لا يشمل الجمل فحسب، بل يشمل السياق الاجتماعيّ والثقافيّ والتاريخيّ الأوسع الحافّ به.

طوّرت المقاربات الاجتماعيّة ـ الثقافيّة والنقديّة، الّتي استفادت من الفلسفة وعلم الاجتماع، مفهومَ الخطاب، فكان لمنظور فوكو (Foucault) ومفهوم السلطة عنده أثر هامّ في الدراسات الاجتماعيّة النقديّة للخطاب. وهو منظور تجاوز السياق الضيّق لعمليّة التواصل إلى السياقات الاجتماعيّة ـ السياسيّة والتاريخيّة الموسّعة. وأصبح التركيز عنده يتّجه في تعريف الخطاب نحو اعتباره :" "الممارسات الّتي تُشكِّل الموضوعات الّتي نتناولها بشكل مُمَنْهج.[2] وعقد صلة وثيقة بين مفهوم السلطة والممارسة الخطابيّة عموما، باعتبار الخطاب شكلا من أشكال المعرفة الّتي يراها شديدة الصلة بالممارسة الاجتماعيّة

[1] نقلا عن يقطين، سعيد ، تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1979 ص17.
[2] بغورة، الزواري، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

والمؤسّساتيّة الّتي تخدم غاية معيّنة هي ممارسة السلطة والهيمنة: "إنّ السلطة والمعرفة إنّما يجتمعان في الخطاب".[3] فيكفي أن نتكلّم حتّى نكتشف في هذا الفعل ممارسة للسلطة، ذلك أنّ الخطابات تمارس السلطة لأنّها تنقل المعرفة الّتي تشكّل الواقع ويتغذّى عليها الوعي الجماعيّ والفرديّ، يقول فوكو في سياق الحديث عن العلاقة بين السلطة والخطاب:" هي القضية التي تحوم حولها كل كتبي تقريبا: كيف يرتبط إنتاج الخطابات في المجتمعات الغربية التي تمّ ترسيخ قيمة الحقيقة فيها بمختلف آليات السلطة ومؤسساتها؟"[4]

ما نخلص إليه من رؤية فوكو للخطاب أنّ الخطاب معرفة و سلطة مهيمنة في آن واحد، وهذه السلطة يمارسها الأفراد والمؤسّسات، ولها استراتيجيّاتها مثلما للخطاب استراتيجيّاته، وهي تلك الوسائل والآليات المستعملة لبلوغ هدف ما. فالسلطة من منظور فوكو ممارسة وليست ملكيّة وهو ما تشترك فيه مع الخطاب: "لا تُعزى إلى 'تملّك' بل الى استعدادات، وإلى مناورات وإلى تكتيكات وإلى سير عمل، وأن تكتشف فيها بالأحرى شبكة علاقات دائما ممتدة ودائما ناشطة بدلا من أن تكون امتيازا بالإمكان الإمساك به".[5]

2. منهج التحليل: التحليل النقديّ للخطاب

نعتمد في تحليل المدوّنة الدراسات النقديّة للخطاب أو ما يعرف بالتحليل النقديّ للخطاب (CDA)، وهي دراسات تتبنّى المنظور الوظيفيّ للخطاب الّذي يربط بين النص والأغراض الّتي يرمي إليها. إضافة إلى تحليل الخطاب بالتركيز على سياقه الاجتماعيّ، وتأويل اللغة في علاقتها بمواضيع السلطة والهيمنة والأيديولوجيا، سواء كان الخطاب نتاجا فرديّا أو مؤسّساتيّا.

1.2 مفهوم التحليل النقديّ للخطاب

يمكن أن نلخّص مفهوم التحليل النقديّ للخطاب في النقاط التالية:

ـ بحث تحليليّ للخطاب متعدّد التخصّصات طرحه عدد من الباحثين أوائل التسعينات، أمثال فاندايك وفاركلوف ووداك وفان لوين وكريس.

[3] مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان ماكدونيل، ترجمة عزالدين اسماعيل، ص 58.

[4] Jager, Siegfried. Discoures and Knowledge: Theoretical and Methodological Aspects of Critical Discouse and Dispositive Analysis. (Translated from the original German manuscript by Iris Burger and Robert tonks). Methods of Critical Discoures Analysis. Edited by Ruth wodak and Michel Meyer. London 2001. P36

[5] فوكو، المراقبة والمعاقبة : ولادة السجن، ترجمة علي المقلد، مراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 630.

- رؤية نقديّة يمكن أن توجد في جميع مجالات دراسات الخطاب(تحليل المحادثة، تداوليّة الخطاب، الأسلوبيّة، السيميائيّة الاجتماعيّة...).

- يركّز هذا البحث على المشاكل الاجتماعيّة والقضايا السياسيّة، ويهتمّ بشكل خاصّ بتحليل العلاقات البنيويّة الغامضة، وبالطرائق الّتي تتوسّط بها اللغة الأيديولوجيا في مجموعة متنوّعة من المؤسّسات الاجتماعيّة.

- يتطلّب منهج التحليل النقديّ التخصّصات المتقاطعة لدراسات الخطاب والمقاربات النظريّة في العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة ذات الصلة بمجال البحث.

- التحليل النقديّ للخطاب بحث يدرس في المقام الأوّل الطريقة الّتي تتمّ بها إساءة استعمال السلطة الاجتماعيّة حيث اللامساواة تكون مشرّعة بواسطة النصّ في السياق الاجتماعيّ أو السياسيّ.[6]

2.2. أهداف التحليل النقديّ للخطاب

إجمالا يهدف التحليل النقديّ للخطاب باعتباره منهجا بحثيّا إلى تفكيك الخطاب الّذي يتمّ من خلاله التعبير عن المفاهيم والمصطلحات من أجل الكشف عن علاقات القوّة الخفيّة، وبناءً على ذلك يمكن أن يكون أداة تحليليّة لدراسة خطاب حقوق الانسان وأبرز مفاهيمه. وقد مُنحت لهذا المنهج التحليليّ مكانة خاصّة باعتباره سبيلا للعمل الإنسانيّ فهو يهدف أساسا إلى :

- التنوير ودعم التحرّر ولا يسعى إلى الوصف والشرح فحسب، إذ يلتزم التحليل النقديّ للخطاب بالتّدخل لمساندة الجماعات المسيطَر عليها والمضطهدة وضدّ الجماعات المهيمِنة، فهو يتبنّى موقفا اجتماعيّا سياسيّا صريحا، يقول فانديك في هذا السياق: " على خلاف مُحللي الخطاب الآخرين ينبغي للمشتغلين بالتّحليل النّقدي للخطاب اتّخاذ موقف اجتماعيّ سياسيّ صريح: فهم يُعبّرون عن وجهة نظرهم، مبادئهم وأهدافهم في مجالهم وفي المجتمع ككل ".[7]

- إزالة الغموض عن الخطابات من خلال فكّ رموز الأيديولوجيا والكشف عن كيفيّة استعمال اللغة في التعبير عن اللامساواة والظلم الاجتماعيّين.

---

[6] Van Dijk, T. (2015). « Critical Discourse Analysis ». In Deborah Tannen, Heidi E. Hamilton, & Deborah Schiffrin (eds), *the Handbook of Discourse Analysis*, Second Edition, Chichester UK, Wiley Blackwell Publishers, 2015. P 466.

[7] Van Dijk, T. (1993). « Principles of Critical Discourse Analysis ». In Discourse and Society. P 252.

ـ تفكيك الخطاب من أجل الكشف عن علاقات السلطة الخفيّة والطرائق الّتي تؤثّر من خلالها البُنى الخطابيّة على تمثيلات المتقبّلين وخاصّة الكيفيّة الّتي بها يقع التلاعب بالمعتقدات.

3.2. مدارس التحليل النقديّ للخطاب

تعدّدت مقاربات التحليل النقديّ للخطاب ومناهجه، لكنّ أبرز مدارسه ارتبطت بأعلام ثلاثة هم فاركلوف (Fairclough) وفاندايك (VanDijk) ووداك (Wodak) .

1.3.2 المنهج الاجتماعي الثقافيّ أو الجدليّ ـ العلائقيّ عند فاركلوف

يتميّز المنهج الاجتماعيّ الثقافيّ عند فاركلوف على غرار التحليل الوظيفيّ عند هاليداي بثلاثة أبعاد : يبدأ بالنصّ ليشمل الممارسات الخطابيّة ثم الممارسات الاجتماعيّة الأكثر تعقيدا، يقول فاركلوف: "التحليل النقديّ للخطاب (C. D. A) للحدث التواصليّ هو تحليل العلاقات بين ثلاثة أبعاد هذا الحدث والتي أسمّيها: النص (Text) والممارسة الخطابيّة (discourse practice) والممارسة الاجتماعية – الثقافية (sociocultural practice)"،[8] أمّا النصوص فقد تكون مكتوبة أو مُذاعة أو محكية مرئيّة، ومفهوم النص عنده لا يقف عند اللغة وإنّما يشمل مختلف الإشارات السيميائيّة الأخرى (الصور، الأصوات، الإيماءات...) ويتضمّن التحليل النصّي الأشكال التقليديّة للتحليل اللساني بدءًا بالنظام الصوتميّ وصولا إلى النظام الدّلالي، كما يتضمّن أيضا التنظيم النصّي بما في ذلك طرائق ربط الجمل بعضها ببعض (اتّساق النص وانسجامه) وجوانب أخرى حسب طبيعة النص. والثابت أنّ النص عند فاركلوف تحكمه وظائف تُصنَّف إلى ثلاث فئات رئيسيّة، لكل منها اختيارات خاصة بها وهي الوظيفة النصيّة و الوظيفة الفكريّة والوظيفة التبادليّة وهي وظائف اللغة عند هاليداي. يقول فاركلوف: "شدّدت المعالجات "الوظيفيّة" للغة على تعدد وظائف النصوص، على سبيل المثال، تعتبر الألسنية الوظيفيّة المنظوميّة أنّ النصوص تملك في الحين نفسه وظائف "فكرية (ideational) " وتبادلية (interpersonal) ونصيّة ...(textual) وأعتبر على نحو مشابه لكن بطريقة مختلفة أنّ النصّ متعدد الوظائف".[9]

البعد الثاني في منهج فاركلوف التحليليّ هو الذي يشمل الممارسة الخطابيّة لإنتاج النص واستهلاكه وتوزيعه، فللممارسة الخطابية طابع مؤسساتيّ وهو كل ما يتّصل بالتمشيّات المؤسساتيّة مثل إجراءات التحرير، وطابع خطابيّ يتمثل في التمشيّات الخطابيّة التي تخضع لها النصوص في الإنتاج والاستهلاك وتدرج في هذا المستوى الشواغل النفسيّة والعرفانيّة حول كيفيّة وصول الناس إلى تأويلات معيّنة.

[8] Fairclough, Media Discourse p 57.

[9] فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة طلال وهبة. ص 66.

تُفسّر الممارسة الخطابيّة عند فاركلوف من خلال مفهوم أساسيّ هو التّناص (intertextuality) وهو علاقة تفاعل بين النصوص حيث يتم دمج مقتطفات من نصوص داخل النص الواحد الذي يمكن أن يستوعبها أو يتعارض معها بشكل صريح. وتستدعي ظاهرة التناصّ من وجهة نظر فاركلوف الاهتمام أكثر بالتحليل التناصّي الّذي يختلف عن التحليل اللّساني من حيث أنّه أكثر تأويلا: "التحليل اللّساني وصفيّ بطبيعته في حين أنّ التحليل التناصّي هو تأويليّ أكثر"،[10] إذ يهدف التحليل التناصّي إلى الكشف عن الأصناف المختلفة وضروب الخطاب في الممارسة الخطابية حيث يوجد مزيج معقّد يتمّ التّعبير عنه معًا في معاني النصّ.

البعد الثالث من التحليل النقدي للخطاب عند فاركلوف هو ما يتّصل بالممارسة الاجتماعيّة الثقافيّة التي يُعنى فيها بالمظهر الاقتصاديّ والمظهر السياسيّ بما يشمله من قضايا السلطة والأيديولوجيا، والمظهر الثقافيّ وما يعنيه من قيم وهويّات. يقول فاركلوف "قد يكون من المفيد التمييز على نطاق واسع بين ثلاثة مظاهر للممارسة الاجتماعية الثقافية: اقتصادي، سياسي وثقافي".[11]

يقول ريتشاردسون(Richardson) عن هذا البعد من تحليل الخطاب :"عند هذه النقطة يصبح تحليل الخطاب تحليلا نقديا للخطاب".[12]

وفقا لفاركلوف، تكمن وراء الاختيارات اللغويّة أغراض لا تخلو من الأيديولوجيا، ولذلك يمكن للخطاب إنتاج علاقات القوّة غير المتكافئة أو إعادة إنتاجها. فممارسة السلطة من منظوره تتحقّق من خلال الأيديولوجيا، وهذا ما سندعمه في تطبيق التحليل النقديّ على الخطاب الحقوقيّ وكيفيّة تمثّله للمقاومة الفلسطينيّة من جهة والمحتلّ من جهة أخرى.

2.3.2 المنهج الاجتماعي العرفانيّ عند فانديك

يعتبر فانديك مرجعا أساسيّا في دراسات التحليل النقدي للخطاب، وعُرف منهجه الّذي يختلف عن توجّه بقيّة المناهج، بالمنهج الاجتماعيّ العرفانيّ. وهو لا يهتمّ كثيرا بالممارسة الخطابيّة بقدر ما يركّز عنايته على الإدراك الاجتماعيّ باعتباره الوسيط بين النصّ والمجتمع. حيث يعقد صلة وثيقة بين الخطاب والإدراك والمجتمع بما في ذلك التاريخ والسياسية. يقول فاركلوف: "إنّ تحليل فانديك لممارسة إنتاج الأخبار وفهمها يركّز من زاوية نفسية اجتماعية على عمليات الإدراك الاجتماعي".[13]

---

[10] المصدر السابق، ص 61.
[11] المصدر السابق، ص 62.
[12] Richardson. Analysing Newspapers, p42
[13] Fairclough. Media Discourse p29.

تقوم المقاربة العرفانيّة على مقوّمات نظريّة ذات صلة بالمستوى الإدراكي للفاعلين في الخطاب من أهمّها التمثيلات الاجتماعية (social representations) وهي الأطر الجماعيّة للمفاهيم أو التصوّرات المشتركة اجتماعيا، ، و أنّ جزءًا ممّا يشكّل السياق هي الخصائص الإدراكية أو العرفانيّة (cognitive properties) للمشاركين في الخطاب مثل معتقداتهم وخلفيّاتهم المعرفيّة وآرائهم وأهدافهم. وبناءً على ذلك فالجهات المشاركة في الخطاب لا تستفيد فحسب من تجاربها الفرديّة وإنّما تعتمد أيضا على ما تتقاسمه مع المجموعة والذي يشكّل عنصرا أساسيا في الهويّة الاجتماعية للفرد وخاضع باستمرار للتغيير.

يهتمّ النموذج العرفانيّ أيضا بالبنى اللّسانية على غرار البنى الاجتماعية باعتبار أنّ المعنى وخصائصه هو موضوع التحليل العرفاني مثل ما هو موضوع اللسانيات. وإجمالا يحدّد فانديك مستويين لتحليل الخطاب : التحليل الكلّي (Marco) في مقابل التحليل الجزئي (Micro)، يشير النوع الأول إلى مواضيع السلطة والهيمنة واللامساواة بين الجماعات داخل المجتمع، في حين يهتمّ الثاني باستعمال اللغة والتفاعل اللّفظي، ويقترح في التحليل منهجا يبدأ بمرحلة تحديد المواضيع التي يتم استخلاصها من أجزاء الخطاب، وهي التي تمثل معناه العام (global meaning) أو المضامين الكليّة التي تحدّد النموذج الذهني المخصوص للمتكلّم أو الكاتب والمتقبل عموما، ولتبسيط المفهوم هو ملخّص النصّ المعبّر عن بنيته الكلية (macrostructure)، وقد يُستخلص من العناوين أو الخواتيم. يهتم فانديك أيضا في منهجه التحليليّ بالمضمرات (implications) في الخطاب، والتي يستدعي توضيحها استحضار مجال المعرفة التي لها صلة بها، إضافة الى السياق، و من مراحل التحليل الأخرى استجلاء الافتراضات (presuppositions) والتلميحات، ثم فحص الانسجام الموضعيّ (local coherence) حيث لا يكون النص منسجما إذا لم يكن له نموذج ذهنيّ عند المتقبّل. كما تُحلّل في منهجه أيضا الإيحاءات علاوة على المعاني المعجميّة. علاوة على ذلك يهتمّ فانديك بفهم البنى الأيديولوجيّة، وعلاقات السلطة الاجتماعيّة في الخطاب. ويرى أنّ الأيديولوجيّات هي أساس التمثيلات الاجتماعيّة للجماعات، فمن يسيطر هو من يستطيع التحكّم في عقول الآخرين وأفعالهم اعتمادا على استراتيجيّة تتمثّل أساسا في تقديم الذات بشكل إيجابيّ وتقديم الآخر بشكل سلبيّ، استراتيجية يصفها فانديك بالمربّع الأيديولوجي(Ideological Square).[14]

إجمالا يؤكّد فانديك أنّ التحليل النقديّ للخطاب لا يجب أن يقتصر على دراسة العلاقة بين الخطاب والبنية الاجتماعيّة، بل إنّ استخدام اللغة والخطاب يفترضان دائما وجود نماذج ذهنيّة وأهداف وتمثيلات اجتماعيّة عامّة (المعرفة، المواقف والمعتقدات، الأيديولوجيّات، القيم..) لمستخدمي اللغة. وكما يتّضح من معظم دراسات فانديك، فإنّ تحليله النقديّ للنصوص يميل إلى توضيح البعد الأيديولوجيّ لـ"نحن" مقابل "هم"، وإظهار البنى والاستراتيجيّات الخطابيّة المستعملة في ممارسة السلطة.

[14] Teun A. Vandijk. Critical Discourse Analysis p 471.

3.3.2 المنهج التاريخيّ عند ووداك

تعدّ ووداك من أكثر محللي الخطاب شهرة في البلدان الناطقة بالألمانية، حيث طوّرت مع زملائها منهجا جديدا لتحليل الخطاب أو ما يُسمّى بالمقاربة التاريخيّة للخطاب (discourse historical approach) وهي مقاربة ملتزمة بالتوجّه الاجتماعي على غرار المقاربات الأخرى للتحليل النقدي للخطاب، لكنّها أكثر تأكيدا على توظيف التداولية في إطار التحليل، لدور هذا التيار في تثمين السياق في عملية التواصل. تقول ووداك: "يجب توضيح مفاهيم: النص والخطاب والسياق والسياق الداخلي (co-text) وتنظيرها في إطار متعدد التخصصات جامع يدمج بين التحليل النقدي للخطاب والتداولية"،[15] وتعتبر أنّ الأدوات التداوليّة حاولت التمييز بين السّمات المهمّة للسياق المباشر من متحدثين ومستمعين وإعدادات وتوقّعات ونوايا... إلخ، في حين غالبا ما تُركت هذه الأبعاد غامضة في مقاربات أخرى.

تعتقد ووداك أنّ إحدى الطرق المنهجيّة للتحليل النقدي للخطاب هي اتّباع مبدأ "التثليث" (triangulation) الذي يُعتبر من أبرز سمات المنهج التاريخي للخطاب، ويقلل حسب وجهة نظرها من الوقوع في مطبّات التحيّز النقديّ إلى أدنى حدّ وتجنّب التسيّس بدلا من التحليل.

يقوم هذا المبدأ على مفهوم السياق أساسا ويأخذ في الاعتبار أربعة مستويات:

- السياق الداخليّ لكل جملة أو تركيب.
- السياق الخارجي في النص الكلي (macro-text).
- تحليل الصنف (genre analysis).
- السياق الاجتماعي - السياسي للحدث الكلامي.
- العلاقات التناصيّة والبيخاطبيّة (interdiscursive) لحدث كلامي معيّن مع أحداث أخرى ذات صلة.[16]

ومن أبرز مبادئ التحليل النقديّ في المنهج التاريخيّ عند ووداك أنّ جميع الخطابات تاريخيّة، ولذلك لا يمكن فهمها إلّا بالرجوع إلى سياقها، وهذا يعني أنّ الخطاب مرتبط بشكل متزامن أو غير متزامن بأحداث تاريخيّة أخرى تحدث في الوقت نفسه أو حدثت سابقا. ومن هذا المنطلق يتمّ فهم السياق في مقاربة ووداك

[15] Ruth Wodak. Pragmatics and Critical Discourse Analysis: A Cross-disciplinary Inquiry. pragmatics and Cognition p 206.

[16] المصدر نفسه، ص211

تاريخيا بشكل أساسي، حيث يحلّل دائما السياق التاريخي ويُدمج في التفسير. وتوضح ووداك ذلك في أعمالها باقتراحها منهجا يركّز في البداية على الوسائل اللغوية التي تربط السياقات الموسّعة (broad contexts) والسياقات المصغّرة (narrow contexts) بعضها ببعض، ما يجعل توضيح كيفية ارتباط الكلام المنجز من خلال الأجهزة اللغوية التداولية بسياقات غير لغوية ارتباطا تزامنيّا أو غير تزامني (diachronically synchronically) أمرا ضروريا.[17]

في دراستها لخطابات العنصريّة، طورت ووداك صحبة مارتين (Martin Reisigl) في جامعه فيينا أربع مراحل للتحليل تتمثل الأولى في تحديد المضامين أو الموضوعات في خطاب معيّن يليها البحث في الاستراتيجيات الخطابيّة بما في ذلك استراتيجيّات الحجاج، أما المرحلة الثالثة فتتمحور حول الأدوات اللّسانيّة، وأخيرا يتمّ النظر في التحقق اللسانيّ للقوالب النمطيّة مثل الرموز والعلامات والشعارات استنادا إلى السياق.[18] تهدف هذه المنهجيّة إلى الجمع بين الاستدلال الاستقرائي والتداولي، و ذلك أهمّ ما يميّز أسلوب ووداك التحليلي الذي طبقته في دراستها التجريبيّة.

للتلخيص تلتزم ووداك في منهجها التاريخيّ بالتوجّه الاجتماعي، إضافة إلى تثمينها لدور السياق في الكشف عن المكوّنات الاجتماعية والنفسيّة والسياسيّة والأيديولوجية، فضلا عن تأكيدها على أهميّة دراسة كيفيّة استخدام اللّغة في المجالات المؤسساتيّة ، وهي تسعى إلى العمل مع مناهج مختلفة من أجل وضع نظريّة للخطاب، ما جعلها من أبرز باحثي التحليل النقدي للخطاب وواضعي مبادئه الأساسية.

تطبيق التحليل النقديّ للخطاب على لغة حقوق الانسان

1. وصف المدوّنة

نستند في هذا البحث إلى تقارير وبيانات صحفيّة صادرة عن المنظّمتين الحقوقيّتين :
منظّمة العفو الدوليّة ومقرّها بريطانيا[19]، ومنظّمة هيومن رايتس ووتش ومقرّها الولايات المتّحدة الأمريكيّة[20]. تمتدّ تواريخ إصدارها من 09- 10- 2023 إلى 23- 12- 2023. ولا تتضمّن التعاليق ولا مقالات الرأي.

---

[17] المصدر نفسه، ص 212

[18] Michael Meyer. Between Theory, Method and Politics.

[19] تعرّف المنظمة نفسها :"منظمة العفو الدولية حركة عالمية تضم ما يربو على 10 مليون شخص يأخذون الظلم على محمل شخصي. ونحن نناضل من أجل عالم يتمتع فيه الجميع بحقوق الإنسان. تتلقى منظمة العفو الدولية دعمها المالي بشكل رئيسي من الأفراد والأشخاص العاديين من مختلف مناطق العالم. وتتيح هذه المساهمات المالية الشخصية والتبرعات غير المشروطة للمنظمة الحفاظ على استقلاليتها الكاملة عن الحكومات والأيديولوجيات السياسية، والمصالح الاقتصادية والدينية. **https://www.amnesty.org/ar/who-we-are/**

[20] تعرّف المنظّمة نفسها : "هيومن رايتس ووتش" منظمة غير حكومية، غير ربحية لحقوق الإنسان، لديها حوالي 400 موظف في جميع أنحاء العالم. يتكوّن فريق عملها من خبراء حقوقيين، من بينهم خبراء متخصصون في بلدان معينة، ومحامون، وصحفيون، وأكاديميون، من خلفيات

أمّا موضوعها الأساسيّ فهو أحداث 07 أكتوبر في فلسطين والعدوان الإسرائيليّ على غزّة ونتائجه الوخيمة على المدنيّين.

1.1. تقارير منظمة العفو الدوليّة

تقارير منظّمة العفو الدوليّة المعتمدة في التحليل مرتّبة حسب تاريخ صدورها هي:

- إسرائيل: يجب محاسبة الجماعات المسلّحة الفلسطينيّة على عمليّات القتل المتعمّد للمدنيّين والاختطاف والهجمات العشوائيّة. (2023.10.12)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: المدنيّون في غزّة معرّضون لخطر غير مسبوق مع قطع إسرائيل للاتّصالات في ظلّ تكثيف القصف وتوسيع الهجمات البريّة. (2023.10.28)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: يجب الضغط في مؤتمر باريس من أجل وقف فوريّ لإطلاق النار لاعتبارات إنسانيّة. (2023.11.07)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: "ما من مكان آمن في غزّة": الغارات الإسرائيلية غير القانونيّة تكشف الاستهتار الصارخ بحياة الفلسطينيّين. (2023.11.20)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: اتّفاق إطلاق سراح الرهائن والسجناء يجب أن يمهّد الطريق لمزيد من عمليّات الإفراج ووقف مستدام لإطلاق النار. (2023.11.23)
- القيود التمييزيّة الّتي تفرضها الحكومات الأوروبيّة المانحة على المجتمع المدنيّ الفلسطينيّ تهدّد بتفاقم أزمة حقوق الإنسان. (2023.11.28)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: هناك حاجة ملحّة لوقف إطلاق نار مستدام لوضع حدّ لإراقة دماء المدنيّين والمعاناة الجماعيّة مع استئناف القتال. (2023.12.01)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: الذخائر الأمريكيّة الصنع قتلت 43 مدنيّا في غارتين جويّتين موثّقتين في غزّة. (2023.12.05)
- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: يجب على الولايات المتّحدة ألّا تعرقل قرارا للمطالبة بوقف فوريّ لإطلاق النار. (2023.12.08)

وجنسيات مختلفة. تُعرف هيومن رايتس ووتش منذ تأسيسها عام 1978 بتقصيها الدقيق للحقائق، وتقاريرها المحايدة، واستخدامها الفعال لوسائل الإعلام، ومرافعتها المستهدِفة، بالشراكة مع منظمات حقوقية محلية في الكثير من الأحيان. تنشر هيومن رايتس ووتش سنويا ما يزيد عن 100 تقرير وإحاطة حول أوضاع حقوق الإنسان في حوالي 90 دولة، تحظى بتغطية واسعة في وسائل الإعلام المحلية والدولية. تلتقي هيومن رايتس ووتش، بالاستناد إلى التأثير الناتج عن هذا العمل، مع الحكومات، "الأمم المتحدة"، المجموعات الإقليمية مثل "الاتحاد الأفريقي" و"الاتحاد الأوروبي"، والمؤسسات المالية والشركات للضغط باتجاه التغيير في السياسات والممارسات، من أجل حقوق الإنسان والعدالة حول العالم. **https://www.hrw.org/ar/about/about-us**

- إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: اعتماد قرار مجلس الأمن لتسريع وصول المساعدات الإنسانيّة إلى غزّة خطوة مهمّة لكن غير كافية. (2023.12.23)

2.1. تقارير منظّمة هيومن رايتس ووتش

تقارير منظّمة هيومن رايتس ووتش المعتمدة في التحليل مرتّبة حسب تاريخ صدورها هي:

- إسرائيل/فلسطين: خسائر هائلة في صفوف المدنيّين بينما تنتهك الأطراف المتحاربة التزاماتها القانونيّة. (2023.10.09)
- إسرائيل/فلسطين: التحقق من فيديوهات لهجمات قادتها حماس لدى المحكمة الجنائيّة الدوليّة بالتحقيق في الهجمات باعتبارها جرائم حرب. (2023.10.18)
- إسرائيل/فلسطين: مخاوف شديدة على المدنيّين في الهجوم البرّي. (2023.10.29)
- الولايات المتّحدة: احموا حرّية التعبير بشأن أزمة إسرائيل فلسطين. (2023.11.02)
- إسرائيل/فلسطين: علّقوا نقل الأسلحة إلى إسرائيل والفصائل الفلسطينيّة المسلّحة. (2023.11.06)
- غزّة: أفرجوا عن الرهائن المدنيّين واسمحوا بدخول المساعدات بالكامل. (2023.11.22)
- "ميتا": سياسات للرقابة على المحتوى المتعلق بفلسطين - عالِجوا عيوب السياسات وحسِّنوا الشفافية (2023.12.20)

2. كيف نجري تحليلا نقديّا للخطاب؟

يعتبر فانديك أنّ الإجابة عن هذا السؤال :" تفترض دراسةً حول العلاقات بين الخطاب والسلطة والهيمنة واللامساواة الاجتماعيّة، وموقف محلّل الخطاب من هذه العلاقات الاجتماعيّة نظرا لأنّ هذا المجال معقّد ومتعدّد التخصّصات".[21]

إنّ عدم وجود منهج واحد ثابت للتحليل النقدي للخطاب لا ينفي التقاء معظم مناهجه في خصائص مشتركة، أهمّها الانطلاق من مشكل اجتماعيّ سياسيّ، ثمّ البحث في هياكل الخطاب واستراتيجيّاته للكشف عن هيمنة فئة على أخرى ومظاهر التلاعب بالخطاب. حيث ينبغي على المحلّل أن يبحث في كيفيّة التعبير عن أشكال اللامساواة وشرعنتها وإعادة إنتاجها من خلال النصّ، ولذلك يفترض التحليل

[21] Van Dijk, T. (1993). « Principles of Critical Discourse Analysis »p 249

النقديّ للخطاب أساسا لسانيّا متينا لاختيار العناصر اللّسانيّة الضروريّة ذات الصلة بأهداف البحث. يقول فانديك: " ترتكز نظريّة وتطبيق التحليل النقديّ للخطاب على بُنى النصّ أو الحديث".[22]

يمكن ملاحظة مظاهر الهيمنة في التنغيم ،بالنسبة إلى الخطاب المنطوق تحديدا، وفي المعجم والتركيب النحويّ والأساليب البلاغيّة، والافتراضات، وفي البنية العامّة للنصّ...وهذا ما سنسعى إلى تتبّعه في مدوّنة بحثنا من أجل تفسير العلاقة بين الاختيارات اللسانيّة وعلاقات الهيمنة الّتي تحكمها عادة الأيديولوجيا وموازين القوى الدوليّة اقتصاديّا وسياسيّا.

3. التحليل النصّي

1.3. المعجم وطرائق التمثيل والإحالة

1.1.3 الإحالة إلى المقاومة وطرائق تمثيلها معجميّا

- ❑ في خطاب منظّمة العفو الدوليّة:
  - ➢ الإحالة بالاسم : "حماس".
  - ➢ الإحالة بالتوصيف: "الجماعات الفلسطينيّة المسلّحة"، " جماعات مسلّحة منظّمة". " رجالا مسلّحين".
  - ➢ تمثيل المقاومة من خلال الأفعال: "انتهكت القانون الدولي بشكل صارخ"، "أظهرت استخفافا مروّعا بالحياة البشريّة"، "...من خلال ارتكاب جرائم قاسية ووحشيّة...بما في ذلك عمليّات القتل الجماعيّ...واحتجاز الرهائن، وإطلاق هجمات صاروخيّة عشوائيّة على إسرائيل، مع استمرار ظهور الأدلّة على الفظائع الّتي وقعت في جنوب إسرائيل. "الهجمات المروّعة التي شنّتها حماس".
- ❑ في خطاب منظّمة هيومن رايتس ووتش:
  - ➢ الإحالة بالاسم : "حماس".
  - ➢ الإحالة بالتوصيف: " مسلّحون بقيادة حماس" ، "رجال مدجّجون بالسلاح"، "الجماعات الفلسطينيّة المسلّحة"، "فصائل فلسطينيّة مسلّحة"، "حماس ومجموعات فلسطينيّة مسلّحة"
  - ➢ تمثيل المقاومة من خلال الأفعال: "...شنّت هجمات قاتلة، هاجمت المجتمعات الإسرائيليّة"، أطلقت النار جماعيّا على المدنيّين"، أخذت عشرات المدنيّين الإسرائيليين كرهائن "، "أطلقوا أكثر من 3آلاف صاروخ عشوائيّ تجاه مراكز سكانيّة إسرائيليّة". "الجرائم

[22] المصدر نفسه، ص 259

الخطيرة الّتي ارتكبتها الجماعات الفلسطينيّة. "بعد مجازر 7 أكتوبر/تشرين الأول".
"يصرخ أحد المسلّحين باللغة العربيّة."
" تواصل هيومن رايتس ووتش التحقيق في هذه الحوادث وغيرها باعتبارها جرائم حرب."

ما نستنتجه أنّ الاختيارات المعجميّة في تمثيل المقاومة هي اختيارات تحمل موقفا سلبيّا منها، بل تعزّز التمثيل السلبيّ لها. ويعتبر ذلك في التحليل النقديّ للخطاب من تجلّيات الوظيفة الفكريّة للنصّ الّتي تكشف عادة عن خلفيّات أيديولوجيّة. كما تضطلع بوظيفة تبادليّة، إذ تشيّد الهويّات في الخطاب، فتوصيف المقاومة بـ" مسلّحين"، "الجماعات الفلسطينيّة المسلّحة"، "فصائل فلسطينيّة مسلّحة"، "جماعات مسلّحة منظّمة. رجالا مسلّحين". هو نزع لشرعيّة "المقاومة" وهذا شكل من أشكال التموقع، يصل إلى درجة عدم الاعتراف بها، فلا نجد أبدا استعمالا للفظ "المقاومة" في التقارير الحقوقيّة لهاتين المنظّمتين. فهي تنزع مشروعيّة مقاومة الاحتلال عن الفلسطينيّين. ولا ترى فيهم شعبا يقاوم محتلّا، بل تمعن في تصوير المقاومة كعمل إرهابيّ، فيه انتهاك للقانون . رغم أنّ الحقّ في مقاومة الاحتلال هو حقّ انسانيّ معترف به عالميّا ، فالقانون الدوليّ يؤكّد أنّ المقاومة بكلّ أشكالها هي حقّ مشروع للشعوب الّتي تعاني من الاحتلال من أجل العيش بحريّة وكرامة، ويمنح هذا الحقّ للفلسطينيّين.[23]

إنّ المعنى المضمّن أو المضمر في عدم الاعتراف بالمقاومة يتمثّل في عدم وجود محتلّ أصلا من منظور الخطاب الحقوقيّ، وهذا ما سنؤكّده من خلال كيفيّة الإحالة على مكان الصراع وطرفيه.

2.1.3 الإحالة إلى مكان الصراع وطرفيه معجميّا في خطاب المنظّمتين

- الإحالة بالاسم إلى المكان: إسرائيل، فلسطين، غزّة
- الإحالة بالنسبة إلى المكان: "الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة"، "مراكز سكّانيّة إسرائيليّة"، "التجمّعات السكنيّة الإسرائيليّة".

← تفترض هذه الاختيارات المعجميّة أنّ الأرض الّتي يقيم فيها "الإسرائيليّون" ليست أرضا محتلّة طُرد منها سكّانها الأصليّون، وبالتالي ليست مستوطنات أسّست للكيان المحتلّ وإنّما "مراكز سكّانيّة إسرائيليّة"، وتجمّعات سكنيّة إسرائيليّة". وهي الرواية الإسرائيليّة الغربيّة وليست الحقيقة التاريخيّة.

- طرائق الإحالة إلى المحتلّ أو "الإسرائيليين "الّذين هاجمتهم المقاومة:

[23] قرار رقم 3236 (الدورة 29) الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة.
- القرار 1514/ المادّة 51 من ميثاق الأمم المتّحدة" يعلن ضرورة الإنهاء السريع وغير المشروط للاستعمار بجميع أشكاله ومظاهره ويعلن أنّ لجميع الناس الحقّ في تقرير المصير".

← التأكيد على أنّ جميعهم مدنيّون في حين أنّ بينهم جنود : "تعمّدت قتل المدنيّين"، الإفراج الفوري عن جميع المدنيّين"، "وهم يطلقون النار عمدا على المدنيّين"، أودت بحياة عدّة مئات من المدنيّين الإسرائيليّين "يأخذون رهائن من المدنيّين"

← التأكيد في كلّ مرّة على أنّ معظمهم من النساء والأطفال: "معظمهم من النساء والأطفال الإسرائيليّين"، "كثير منهم مدنيّون ومن بينهم أطفال".

← اختيارات معجميّة مهوّلة لحالة الرهائن الإسرائيليّين: المحنة المروّعة، الصدمة التي يعانون منها ستكون طويلة الأمد".

إضافة إلى ذلك تحيل المنظّمتان إلى المحتلّ والمقاومة بـ "طرفي النزاع"، وهذا الاستعمال ليس اعتباطيّا ويضمر عدم اعتراف بالاحتلال أصلا، إذ لا يكون النزاع بين محتلّ وشعب مقاوم للاحتلال، وإنّما يتعلّق حسب تعريفه في القانون الدوليّ بعدم التوافق في المصالح بين طرفين أو أكثر.[24]

← لا ترى المنظّمتان من خلال اختياراتهما المعجميّة أنّ ما حصل في 07/10/2023 هو ردّة فعل على الاحتلال وانتهاكاته، ولا هو فعل مقاومة له، وإنما تعتبرانه "اعتداءً وحشيّا" و"جريمة حرب": "لا يمكن أن يكون هناك أيّ مبرر لهذه الهجمات المشينة."(العفو الدوليّة)

في المقابل تعتمد المنظّمتان في وصف أفعال المحتلّ:

ـ العناصر المعجميّة الملطّفة (euphemistic) في وصف أفعال الاحتلال أو الداعمين له: "أنشطة بريّة"، "إنّه لمن المعيب حقّا"، "تكتيكات تمنع المدنيّين من الحصول على الأساسيّات المعيشيّة". يدعموا دون إبطاء قرارا لمجلس الأمن الدوليّ بوقف فوريّ لإطلاق النار". الجيش الإسرائيليّ تقاعس عن اتّخاذ الاحتياطات الممكنة لتقليل الأضرار.

هذه الاستعمالات تخفّف من الجرائم المقترفة ضدّ الفلسطينيّين، فما سُمّي "أنشطة" هي قتل متعمّد وإذلال وتهجير واعتقال. وتجنّب ذكرها بشكل صريح هو تخفيف متعمّد من الأفعال الإجراميّة للاحتلال.

يكشف، إذن، التحليل النقديّ لخطاب المنظّمتين عن خلفيّات سياسيّة أيديولوجيّة، فهُما لا تعتبران، وان لم يكن بشكل صريح، "إسرائيل" كيانا محتلّا، بل دولة قائمة الذات، ويتجلّى ذلك في كيفيّة تمثيلها في الخطاب . بل لا ترى في "الإسرائيليّين" داخل فلسطين مستوطنين محتلّين سرقوا أصحاب الأرض بمساعدة جيشهم، بل هم مدنيّون أبرياء، وقع الاعتداء عليهم. وليس من حقّ الفلسطينيّين الدفاع عن أرضهم. وهنا يكمن اشتغال اللغة أيديولوجيّا، إذ يبدو الخطاب الحقوقيّ متبنّيا لموقف القوى العظمى المهيمنة ممّا يحدث في فلسطين. ومن هذا المنطلق لا يمكن أن يكون خطابا كونيّا تُراعى فيه حقوق جميع

[24]" يوجد نزاع مسلّح حيثما كان هناك لجوء إلى قوّة مسلّحة بين الدول، أو عندما تقع أعمال عنف مسلّح طويل المدى بين سلطات حكوميّة وجماعات مسلّحة منظمّة أو بين تلك الجماعات بعضها ببعض.

البشر على قدر من المساواة والحياد. فخطاب المنظّمتين مثلا يعتبر روسيا محتلّة لأكرانيا ولا يرى "إسرائيل" كذلك.[25]

2.3. العلاقات التركيبيّة والدلاليّة في المدوّنة

1.2.3 . بنية الجملة : صيغة المجهول والتحويل الإسميّ

- **المبنيّ للمجهول**

استعمال المبنيّ للمجهول بشكل مطّرد عندما يتعلّق الأمر بفظائع الكيان المحتلّ، وهو من منظور التحليل النقديّ للخطاب اتّجاه منتظم في التقارير لترك الفاعليّة غير محدّدة تخفيفا للمسؤوليّة :" **قُتل** أكثر من 15,000 شخص، بينهم 6,000 طفل، في غزة و**جُرح** آلاف آخرون منذ بدء هذه الحرب في أكتوبر/تشرين الأول في أعقاب هجمات حماس وجماعات مسلحة أخرى ضد إسرائيل".

"وبالنظر إلى عدد القتلى الصادم، حيث **قُتل** أكثر من 20,000 شخص في خلال شهرين ونيّف، والحجم المروع للدمار والخراب في غزة، فإن هذا ببساطة أمر غير مقبول".

- **التحويل الإسميّ**

وهو حسب فاركلوف "نمط من أنماط الاستعارة النحويّة تُمثّل السيرورات ككيانات... والتحويل الإسميّ غالبا ما يَستلزم إبعاد الفاعلين الاجتماعيّين في تمثيل الأحداث، إنّه مصدر تعميم وتجريد لا بدّ منه في حقول مختلفة، لكن يمكن أيضا أن يحجب هويّة الفاعل ومسؤوليّته."[26]

في بعض التقارير يُستعمل هذا الأسلوب عند الحديث عن فظائع الاحتلال الإسرائيليّ ولكن باستبعاد الفاعل من التركيب مثال ذلك في بعض تقارير العفو الدوليّة: "المدنيّون في غزّة **معرّضون** لخطر". أو "أنّ المدنيّين الفلسطينيّين **محاصرون** بالفعل". أو **"تكثيف** القصف و**توسيع** الهجمات البريّة". "يستمرّ عدد **القتلى** المدنيّين في غزّة" . أو "وضع حدّ **لإراقة** دماء الفلسطينيّين."

نلاحظ في بناء هذه الجمل تحويل "القتل" من فعل إلى حالة. وفي عنوان لبيان صحفيّ لهيومن رايتس ووتش التحويل الإسميّ يغيّب الفاعل الحقيقيّ تماما: **"حصار** غزّة غير القانونيّ يقتل الأطفال."

يقول فانديك عن استعمال صيغتي المبنيّ للمجهول والتحويل الاسميّ:" يمكن أن تستخدما لإخفاء الأفعال السلبيّة أو للتقليل من حدّتها".[27] وبذلك قد تتحدّث التقارير عن أفعال المحتلّ و فظائعه ووحشيّته، ولكن دون أن يكون ذلك صريحا جدّا.

---

[25] "أوكرانيا: إعدامات وتعذيب أثناء الاحتلال الروسيّ" Human Rights Watch https://www.hrw.org

[26] فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة طلال وهبة. ص 398.

2.2.3. بنية الجملة: التقديم والتأخير قصد الإبراز والتأكيد

- **التأكيد على المفعول بهم(ضحايا) بتقديمهم في التركيب(topical position).**

عندما يتعلّق الأمر بالمفعوليّة تتصدّر "إسرائيل" التركيب كأنّها الأحقّ بأن يُدافع عنها ومن أمثلة ذلك:

ـ قُتل نحو 1200 إسرائيليّ و أكثر من 11 ألف فلسطينيّ

ـ "لوضع حدّ للهجمات غير القانونيّة وحماية جميع المدنيّين في إسرائيل والأراضي الفلسطينيّة المحتلّة".

ـ "اتّفاق إطلاق سراح الرهائن والسجناء يجب أن يمهّد الطريق لمزيد من عمليّات الإفراج..."

ـ "احموا حريّة التعبير بشأن أزمة إسرائيل/فلسطين

ـ الانتهاكات الجسيمة في إسرائيل وفلسطين

ـ المذبحة غير المسبوقة في إسرائيل وفلسطين

ـ ..."أو معارضة الأفعال المتزايدة المرتبطة بمعاداة السامية والعداء للإسلام."

- **التأكيد على الفاعليّة بتقديم طرف على الآخر في التركيب**

عندما يكون الفعل فعل "قتل "و "ترويع "وانتهاك لحقوق الإنسان من المنظور الحقوقيّ، تُقدم بشكل مطرّد المقاومة على المحتلّ ومن أمثلة ذلك:

ـ "الجرائم الخطيرة الّتي ارتكبتها الجماعات الفلسطينيّة المسلّحة في إسرائيل والسلطات الإسرائيليّة في غزّة."

ـ" قتلت حماس ومجموعات فلسطينيّة مسلّحة...ثمّ قطعت إسرائيل الكهرباء والوقود..."

أسندت هيومن رايتس ووتش فعل القتل إلى المقاومة ولم تسنده إلى "إسرائيل" في تقرير صادر بعد شهر من بداية الحرب ،كان جيش الاحتلال قد ارتكب أثناءه مجازر.

ـ "أفرجوا عن الرهائن المدنيّين واسمحوا بدخول المساعدات بالكامل"

[27] Teun A. Vandijk. Critical Discourse Analysis p 474.

يتوجّه الخطاب بالأمر إلى المقاومة قبل المحتلّ، رغم أنّ الاحتلال هو من بدأ باعتقال الفلسطينيّين وسلبهم الحقّ في الحريّة، ثمّ حاصر البقيّة ومنع عنهم المرافق الأساسيّة والحياتيّة.

ـ "الأعمال العدائيّة الحاليّة بين الجماعات الفلسطينيّة وإسرائيل"

ـ "إنّ الأنباء الّتي تفيد بإطلاق ما لا يقلّ عن 50رهينة تحتجزهم حماس والجماعات المسلّحة الأخرى و150 معتقلا فلسطينيّا في السجون الإسرائيليّة ستجلب راحة يتوق لها الجميع."

ما نستنتجه تصدير المقاومة في التركيب عندما تُنسب لها أفعال سلبيّة، وهو ما أشار إليه فانديك في الحديث عن بنى الخطاب وتمثيلها للنماذج الذهنيّة لمنتج الخطاب والسعي إلى نقلها إلى المتقبّل، إذ اعتبر أنّ إبراز الأفعال السلبيّة داخل الجملة يكون مثلا بوضعها في مكان بارز فيها[28]. في المقابل تتصدّر "اسرائيل" الجملة إذا كانت تمثّل دور الضحيّة. و يُسوّي بينهما في دعوتهما لضرورة الامتثال للقانون الدوليّ، في حين أنّ التسوية غير جائزة أصلا، فكيف يُسوّى بين المحتلّ الجلّاد والمقاوم ضحيّة الاحتلال والتنكيل؟ فالدعوة لوقف العدوان تُوجّه للمحتلّ أساسا لأنّه البادئ، أمّا الضحيّة فمن المشروع له أن يقاوم الاحتلال. لكنّ تسوية الخطاب الحقوقيّ بينهما ليس بريئا من وجهة نظر نقديّة في تحليل الخطاب، لأنّ في ذلك تخفيفا من مسؤوليّة المحتلّ بتشريك المقاومة في ما يحصل من انتهاكات.

3.3. بنية النصّ

1.3.3. بنية العناوين

- هناك بنية قارّة في عناوين التقارير الصادرة عن العفو الدوليّة حيث يذكر مكان الأحداث ثمّ عنوان التقرير ، المثير للانتباه هو الابتداء دائما ب"إسرائيل" ولا تذكر فلسطين وإنّما "الأراضي الفلسطينيّة المحتلة" وتكون في المرتبة الثانية.

  اللافت للانتباه هو التأكيد من جهة على دولة الاحتلال كأنّها هي الأصل. مع الاعتراف ضمنيّا من جهة أخرى بجزء فقط محتلّ (حدود 1967) ومن هذا المنطلق، المضمر في هذا التركيب للعنوان هو أنّ ما قامت به المقاومة هو اعتداء على دولة.

  و بالتالي هو انتهاك للشرعيّة الدوليّة.
- عناوين البيانات الصحفيّة لهيومن رايتس ووتش إذا تناولت الأحداث في فلسطين، تذكر إسرائيل أوّلا وتترك المرتبة الثانية لفلسطين.

[28] Van Dijk, T. (1993). « Principles of Critical Discourse Analysis »p 264

هذا التصدير المتواتر لـ"إسرائيل" في العناوين ليس عفويّا من منظور التحليل النقديّ للخطاب، خاصّة وأنّ العنوان حسب فانديك يعبّر عن البنية الكليّة للنموذج الذهنيّ المرغوب فيه وهو في موضوعنا ترسيخ بقوّة الخطاب لدولة اسمها" إسرائيل"، خاصّة في أذهان رافضيها باعتبارها كيانا محتلّا لدولة فلسطين. وهذا شكل من أشكال التلاعب بعقول الآخرين وشرعنة للاحتلال. يقول فانديك:" تُستذكر عناوين الأخبار ورؤوس الموضوعات بنحو أفضل وأسرع من الأجزاء الأخرى للخطاب."[29]

- في العناوين أيضا حرص على التسوية بين المحتل والمقاومة خاصّة إذا تعلّق الأمر بالنزاع وكأنّه بين طرفين متكافئين في القوّة حول مصالح سياسيّة، وليس بين محتلّ تدعمه القوى العظمى بأحدث أنواع الأسلحة ومقاومة بأسلحة متواضعة مقارنة بالعدو(مثال عناوين التقارير1 و 4 و5 و6 الصادرة عن منظّمة هيومن رايتس ووتش، وعناوين التقارير 2 و3 و7 الصادرة عن منظّمة العفو الدوليّة.) ويتنزّل هذا في إطار التظاهر بالحياديّة في التعامل مع القضايا، لكن ما قيمة منظمّات حقوقيّة تساوي بين الجلّاد والضحيّة ولا تضع الأحداث في سياقها الصحيح وهو عدوان محتلّ على شعب أعزل!؟ ولا تنتصر للمستضعف أمام القوى المهيمنة والمتجبّرة في العالم ؟

2.3.3. بنية المتن

في بناء متن التقارير الّتي تتناول الأحداث في فلسطين يكون القسم الأوّل مخصصا لآثار فعل المقاومة على المحتل وكأنّ معاناته تفوق معاناة شعب محاصر يُباد بأسلحة محرّمة دوليّا كما تقرّ بذلك هذه المنظمات. ومثال ذلك:

من تقرير العفو الدوليّة: "إسرائيل/الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة: اتّفاق إطلاق سراح الرهائن والسجناء يجب أن يمهّد الطريق لمزيد من عمليّات الإفراج ووقف مستدام لإطلاق النار. (2023.11.23)

- " قالت أنياس كالامار، الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية، تعقيبًا على الأنباء التي تفيد بالتوصل إلى اتفاق لإطلاق سراح ما لا يقل عن 50 رهينة، معظمهم من النساء والأطفال الإسرائيليين، مقابل إطلاق سراح 150 معتقلًا فلسطينيًا."
- "وأضافت أنياس كالامار قائلة: "على الرغم من أن المحنة المروعة ستنتهي بالنسبة للرهائن الذين سيتم إطلاق سراحهم، إلا أن الصدمة التي يعانون منها ستكون طويلة الأمد. ونكرر دعوتنا لجميع الجماعات المسلحة للإفراج الفوري عن جميع المدنيين الآخرين الذين

[29] فانديك. توين. الخطاب و السلطة. ترجمة غيداء العليّ. 2014 .القاهرة. ص442

ما زالوا محتجزين رهائن في غزة. ولا ينبغي أن يكون إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين شرطًا مسبقًا لإطلاق سراح الرهائن. فاحتجاز الرهائن جريمة حرب، ويجب محاسبة المسؤولين عن اختطاف المدنيين وحرمانهم من حريتهم.

- "أنياس كالامار، الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية كما ندعو السلطات الإسرائيلية إلى إطلاق سراح جميع الفلسطينيين المعتقلين بشكل غير قانوني، بما في ذلك أولئك المحتجزين دون تهمة أو محاكمة رهن الاعتقال الإداري. من بين أولئك المتوقع إطلاق سراحهم العديد من الأطفال – أصغرهم يبلغون من العمر 14 عامًا – والعديد منهم معتقلون ولكن لم تتم إدانتهم بعد. ويجب على إسرائيل أن تفي بالتزامها بإطلاق سراح السجناء الفلسطينيين المعتقلين تعسفيًا في جميع الأوقات.

ومن تقرير هيومن رايتس ووتش" إسرائيل/فلسطين: خسائر هائلة في صفوف المدنيّين بينما تنتهك الأطراف المتحاربة التزاماتها القانونيّة.(2023.10.09).

" قالت "هيومن رايتس ووتش" إن الجماعات الفلسطينية المسلحة شنّت هجمات قاتلة في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023 أودت بحياة عدة مئات من المدنيين الإسرائيليين وإلى ضربات مضادة من جانب إسرائيل قتلت مئات الفلسطينيين. حتى 8 أكتوبر/تشرين الأول، أدت هجمات الجماعات الفلسطينية المسلحة إلى مقتل أكثر من 677 إسرائيليا ومواطنا أجنبيا، من ضمنهم مدنيين، بحسب مصادر إسرائيلية ذكرتها "الأمم المتحدة". أدت الضربات الجوية الإسرائيلية اللاحقة على غزة إلى قتل 413 فلسطينيا على الأقل، حسبما أوردته وزارة الصحة الفلسطينية في غزة.

اخترقت "حماس" والجماعات المسلحة الفلسطينية الأخرى الأسيجة التي تفصل غزة وإسرائيل وهاجمت المجتمعات الإسرائيلية المحيطة، وتسللت إلى المنازل، وعلى ما يبدو أطلقت النار جماعيا على مدنيين، وأخذت عشرات المدنيين الإسرائيليين كرهائن إلى غزة. بحسب تقارير، أطلقوا أكثر من 3 آلاف صاروخ عشوائي تجاه مراكز سكانية إسرائيلية.

قال عمر شاكر، مدير إسرائيل وفلسطين في هيومن رايتس ووتش: "القتل المتعمد للمدنيين وأخذ الرهائن والعقاب الجماعي هي جرائم شنيعة لا مبرر لها. ستستمر الهجمات غير القانونية والقمع المنهجي التي عمت المنطقة على مدى عقود طالما يتم تجاهل حقوق الإنسان والمساءلة".

تقمع السلطات الإسرائيلية الفلسطينيين بشكل منهجي منذ عقود، وتفرض منذ 2007 إغلاقا ساحقا على سكان غزة. في 7 أكتوبر/تشرين الأول، أعلن وزير الطاقة الإسرائيلي أن السلطات الإسرائيلية لن تقدم بعد الآن الكهرباء لسكان غزة البالغ عددهم 2.2 مليون نسمة".

في أكثر من تقرير تحتلّ أفعال المقاومة التي تُصوَّرُ أفعالا "وحشيّة" القسم الأول من المتن، ويعقبها وصف أفعال الاحتلال الّتي تَعتبرها المنظّمتان انتهاكات ترقى إلى جرائم حرب أيضا. لكن هذا التنظيم لأحداث النصّ يرسّخ رؤية للوقائع تعتبر البادئ بالاعتداء هو المقاومة، وما ترتكبه "إسرائيل" ليس إلا ردّة فعل.

وهذا تزييف آخر للحقائق، فالبادئ هو المحتلّ للأرض المُنكِّل بشعبها كلّ أنواع التنكيل، وما فعلته المقاومة ليس إلا ردّة فعل ليأسها من الشرعيّة الدوليّة والنضال السلميّ وإيمانها أنّ الحقوق لا تؤخذ إلا عنوة من مغتصبها.

3.3.3. الإجمال والتفصيل في الوصف

❑ الإجمال في وصف أفعال المحتّل

- "خلصت منظمة العفو الدولية، استنادًا إلى تحقيق جديد، إلى أن الجيش الإسرائيلي استخدم ذخائر الهجوم المباشر المشترك أمريكية الصنع (JDAM) في غارتين جويتين مميتتين وغير قانونيتين على منازل مليئة بالمدنيين في قطاع غزة المحتل. ووجدت منظمة العفو الدولية أن هاتين الغارتين الجويتين كانتا إما هجمتين مباشرتين على مدنيين أو أعيان مدنية أو هجمتين لا تميزان بين العسكريين والمدنيين، وتدعو إلى التحقيق فيهما باعتبارهما جريمتي حرب."
- "القمع المنهجي الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مقترنا بالأفعال اللاإنسانية المرتكبة ضد الفلسطينيين كجزء من سياسية للإبقاء على هيمنة الإسرائيليين اليهود على الفلسطينيين، يرقى إلى الجريمتين ضد الإنسانية المتمثلتين بالفصل العنصري والاضطهاد حسبما خلصت إليه هيومن رايتس ووتش في السابق."
- "كما أمر الجيش الإسرائيلي أكثر من مليون شخص في شمال غزة بالإخلاء نحو جنوب القطاع بسبب العمليات العسكرية في الشمال، رغم أنه ليس لديهم مكان آمن يقصدونه أو طريق آمن للوصول إلى أي مكان في القطاع. التحذيرات الفضفاضة، عوضا عن التحذيرات المحددة بشأن هجمات وشيكة، توحي بأن كل مكان في شمال قطاع غزة معرض لهجمات عسكرية. تهدد هذه الأوامر بإحداث تهجير قسري جماعي، وهو جريمة حرب."

❑ التفصيل في وصف أفعال المقاومة وأحوال المستوطنين "الإسرائيليّين"

يصرخ أحد المسلحين باللغة العربية، "شباب، في الداخل، في الداخل هنا"، ويبدو أنهم يتجادلون لفترة وجيزة قبل أن يلقي مسلح آخر شيء ما في الملجأ. يخرج رجل يرتدي ملابس مدنية. يصرخ المسلحون

ويصوبون عليه ويطلقون النار عليه من الخلف وهو يحاول الفرار. أثناء إطلاق النار، حدث انفجار داخل الملجأ. ينتهي الفيديو، ومن غير الواضح إذا نجا أي من الرجلين. زارت شبكة "سي إن إن" الإخبارية الملجأ في 9 أكتوبر/تشرين الأول، وذكرت أن الجزء الداخلي منه ملطخ بالدماء.

يظهر موقف سيارات مغبر بجوار موقع مهرجان سوبر نوفا. يتصاعد الدخان في الخلفية. يطلق مسلح النار على رجل يرتدي ملابس مدنية ويجلس بجوار سيارة ملطخا بالدماء، ثم يبعده عن الكاميرا. ينظر رجل آخر للأعلى ويحرك ساقه لفترة وجيزة قبل أن يستلقي دون حركة على الأرض خلف سيارة. لا يبدو مسلحا. يقترب منه مسلح ويصوب بندقيته نحو رأسه ويطلق النار عليه من مسافة قريبة. يرتجف جسده جراء الإصابة، ثم يخمد.

يظهر الضحية مستلقيا على الأرض في الوضع نفسه، بلا حركة وعلى الأرجح قد فارق الحياة. يظهر رجال وهم يأخذون أشياء صغيرة من جيوب الضحية ثم ينهبون السيارة، حيث يجدون امرأة مختبئة بداخلها. قادوها بعيدا عن الكاميرا. مصيرها غير معروف.

من الواضح أنّ السرد المفصّل لأحداث 7 أكتوبر 2023 والوصف المدقّق لها، لا نجد لهما أثرا في ما تعرّض له أهل غزّة بعد هذه الأحداث. يقول فاندايك: "يمكن وصف الأحداث على مستويات مختلفة من العموميّة أو الخصوصيّة ومع العديد أو القليل من الافتراضات" . ويرى أنّ ذلك لا يخرج عن المربّع الأيديولوجيّ، حيث يقع التفصيل في سلبيّات الآخر، في حين يتمّ وصف أفعال الطرف المقابل له بعبارات عامّة، دون تقديم الكثير من التفاصيل. يذكر فاندايك مثالا على ذلك في تقارير إخباريّة غربيّة حيث تمّ توصيف فعل طرد المنتمين لحركة المقاومة حماس بعبارات مجملة مثل "خطأ فادح"، أو انتهاك لاتّفاقيّة جنيف"، لكن لم يقع وصف حال الفلسطينيّين وهو محتشدون مجمّدون في الخيام. ويرى فاندايك أنّ هذه هي الطريقة الوحيدة الّتي وصفت بها السياسات الإسرائيليّة، في حين يقع التفصيل في أفعال المقاومة وإخراجها في صورة "جرائم إرهابيّة".[30]

بالعودة إلى مدوّنتنا يظهر من كيفيّة الوصف تشويه المقاومة بتجريدها من الإنسانيّة وإظهارها في صورة لاإنسانيّة من خلال اختيار أحداث واستبعاد أخرى واعتماد معجم سلبيّ في وصفها، وهي صورة نمطيّة يسوّق لها المحتل. يقول فاركلوف: "يمكن القول إنّ للمرويّات الإخباريّة نيّة تفسيريّة يمكن تشبيهها بعمليّة مَركزة (focalization) ، إضفاء معنى على الأحداث عن طريق وضعها ضمن علاقة تقوم على وجهة نظر معيّنة".[31]

للتلخيص:

[30] Vandijk. Teun A. Opinions and Ideologies in the Press. P 35

[31] فاركلوف، تحليل الخطاب، ترجمة طلال وهبة. ص 170

- تتجاهل المنظّمتان السياق الحاف بالأحداث والقصد منها باعتبار أنّ الفلسطينيّين يدافعون عن أنفسهم أمام ما يرتكبه الاحتلال الصهيونيّ من جرائم حرب بشعة.

- يعيد الخطاب الحقوقيّ إنتاج الأحكام المسبقة عن المقاومة في السياق الاجتماعيّ والسياسيّ، كما عزّز التمثيل السلبيّ لها من خلال هياكل النصوص وبناها "الّتي تؤثّر على الكيفيّة الّتي يفسّر بها المتقبّلون نماذجهم الذهنيّة حول وضعيّات معيّنة، أو على كيفيّة تعميمها لتشكيل قوالب نمطيّة (stereotypes) ، أو انحيازات، أو أحكام مسبقة."[32]

4. التفسير والتأويل: العلاقة بين خطاب حقوق الانسان الدوليّ والهيمنة الغربيّة

إنّ تطبيق التحليل النقديّ للخطاب على خطاب حقوق الانسان يكتسب مشروعيّته من العلاقة الوثيقة بين هياكل الخطاب وهياكل الإدراك الاجتماعيّ، وعلاقات السلطة الممكنة الناتجة عن هذه الهياكل. فالهدف الّذي يرمي إليه التحليل النقديّ للخطاب هو الكشف عن علاقات القوّة الخفيّة في الخطاب وإنتاج الهيمنة أو شرعنتها من خلال بنى النصّ، ووظائف هذه البنى بالنسبة إلى عقول المتلقّين.

وتتطلّب إعادة إنتاج الهيمنة في المجتمعات المعاصرة غالبا التبرير أو الشرعنة، لتبدو عادلة. وبما أنّ حقوق الإنسان أصبحت أداة من أدوات السياسة الدوليّة وهيمنت لغتها على الخطاب السياسيّ مثلما أشرنا إلى ذلك، فإنّ من المشروع التفكير في آليات السلطة الواردة فيها. إذ أسهم الخطاب الحقوقيّ في شرعنة إجراءات سياسيّة للقوى المهيمنة مثل التدخّلات الخارجيّة لتغيير الأنظمة السياسيّة، أو لمواجهة الممارسات الثقافيّة ، أو لتشويه مقاومة الظلم والطغيان. فقد تمّ استعمال حقوق الإنسان كأداة خطابيّة في خطابات ألقتها الإدارة الأمريكيّة فيما يتعلّق بـ"الحرب على الإرهاب" لكسب الدعم للعمليّات العسكريّة.

إنّ نظام حقوق الإنسان المتمثّل في عدد من الإعلانات والاتّفاقيّات والمعاهدات، هو نتيجة للتطوّرات السياسيّة التي عقبت تجربة البشريّة المؤلمة في الحرب العالميّة الثانية، ويعتبر إطارا مرجعيّا قويّا في السياسة الدوليّة. كما تحظى حقوق الإنسان بدعاية كبيرة، إلّا أنّ لغتها غالبا ما تفتقر إلى الوضوح المفاهيميّ حول المعنى الفعليّ لمفاهيمها الأساسيّة، مثل "الدّيمقراطيّة"، "الاستقلال"، "الحريّة"...، وتتسامح مع المعايير المزدوجة.

لا شكّ أنّ الكشف عن آليّات اشتغال لغة "حقوق الإنسان" من خلال التحليل النقديّ يفضح الطبيعة المسيّسة لهذا المفهوم والعلاقات الخفيّة في الخطاب حيث الهيمنة ذات الطابع الغربيّ الاستعماريّ الجديد متشابكة في نظام حقوق الإنسان الّذي نشأ أصلا في الواقع الغربيّ بعد 1945 ويستند إلى القيم الغربيّة، وتمّ تطبيقه في سياقات غير غربيّة. لقد تمّ تطوير هذا الإطار الأخلاقيّ في السياق الغربيّ في لحظة معيّنة من التاريخ، ومع ذلك فقد تمّ تطبيقه تدريجيّا على سياسات ثقافيّة وسياسيّة أخرى. مثلا في العلاقة بين

[32]. Vandijk. Teun A. Critical Discourse Analysis p 474

"تصدير الدّيمقراطيّة و" الحرب على الإرهاب" تمّ دمج "الحرب على الإرهاب" مع أهداف الدّيمقراطيّة وحقوق الإنسان وتغيير النظام.

تعتمد لغة حقوق الانسان على مفاهيم حقوقيّة أساسيّة منها مفهوم "المجتمع الدوليّ "المشير إلى مجموعة واسعة من الشعوب والحكومات والمنظمات الدوليّة ، وهو يشكّل أعلى سلطة أخلاقيّة وسياسيّة يحقّ لها تقييم مدى امتثال مختلف الجهات الفاعلة لحقوق الإنسان، على افتراض أنّ كلّ الجهات فاعلة في عالم مترابط معولم، وأنّ العالم يتقاسم القيم نفسها، ولكنّ ذلك لم يتجسّد على أرض الواقع : يقول تشومسكي:" إنّ مصطلح "المجتمع الدوليّ" قد اتّخذ معنى أكثر تحديدا فهو يُستخدم بانتظام لوصف الولايات المتّحدة وحلفائها، إنّ عالميّة القيم الّتي خلقها الغرب وتصوَّرَها هي مجرّد وهم".[33]

تكمن علاقات القوّة وراء محاولات تطبيق إطار حقوق الانسان على السياق التاريخيّ، مثل مشكلات الاعتراف بالإبادة الجماعيّة أو الجرائم ضدّ الإنسانيّة الّتي تتضمّن مجموعة متنوّعة من المصالح المتضاربة حيث يتمّ الاعتراف بشكل انتقائيّ بالأحداث التاريخيّة البعيدة على أنّها "إبادة جماعيّة" و"جريمة ضدّ الانسانيّة"، مثلا اعتراف بالإبادة الجماعيّة للأرمن وعدم اعتراف بالإبادة الجماعيّة للغجر. وهذا يدعم مرّة أخرى فشل لغة حقوق الانسان في أن تكون خطابا موحّدا في السياسة الدوليّة.

الخاتمة

يسمح التحليل النقديّ للخطاب الحقوقيّ بدراسة العلاقة بين حقوق الإنسان والسلطة واللغة، ويعتمد على افتراضات فوكو والمشتغلين بالتحليل النقدي للخطاب بأنّ الأيديولوجيا جزء لا يتجزّأ من اللغة، فهو بمثابة أداة لتتبع العلاقات غير المتكافئة الكامنة بين الجهات الفاعلة في السياسة الدوليّة المتورطّة في الخطاب القوّي لحقوق الانسان الّذي يخفي المصالح السياسيّة الفعليّة من إساءة استخدامها لافتقارها أحيانا للوضوح والموضوعيّة.

إنّ خطاب حقوق الإنسان هو خطاب منتشر على نطاق واسع، ورغم أنّه يعرض للانتهاكات الإسرائيليّة وينقد معايير الغرب المزدوجة، لكنّ لغته تظلّ غامضة، ولذلك تصبح عرضة للتفسيرات والتلاعب حتّى تتوافق مع الأجندات الخفيّة للقوى المهيمنة. مثلا لا تعترف المنظّمتان بالتحيّز الغربيّ المؤيّد للاحتلال المتأصّل في القانون الدوليّ الّذي تعتمدانه مرجعا أساسيّا. و رغم تشكيل لجان تحقيق لتقصّي الحقائق في وضع فلسطين، إلا أنّ الهيمنة الغربيّة حالت دون إدانة الكيان المحتلّ ومحاسبته، لذلك ما لا يحتاجه الفلسطينيّون هو المزيد من اللّجان والتحقيقات والتقارير وتقصّي الحقائق والأوراق البيضاء، ما يحتاجه الفلسطينيّون هو التحرّك لإنهاء جرائم الاحتلال.

[33] http://www.chomsky.info/articles/200209--htm.2014.

قائمة المصادر والمراجع

العربيّة

ـ بغورة (الزواوي)، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

ـ فاركلوف (نورمان)، تحليل الخطاب، التحليل النّصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، ط1 ، بيروت المنظمة العربية للترجمة، 2009.

ـ فانديك (توين)، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة عماد عبد اللطيف، ط1 ، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، 2014.

ـ فوكو (ميشال) ،المراقبة والمعاقبة : ولادة السجن، ترجمة علي المقلد، مراجعة وتقديم مطاع صفدي، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1990

ـ مكدونيل (ديان)، مقدّمة في نظريّات الخطاب، ترجمة وتقديم دكتور عزّالدّين اسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديميّة، 2001.

ـ يقطين (سعيد)، تحليل الخطاب الرّوائي، ط3، بيروت، لبنان ، المركز الثقافي العربي، 1979.

الأجنبيّة

- Fairclough.N, *Media Discourse*, London, Hodder Education part of Hachette Livre UK.1995.

- Jager, S, "Discoures and Knowledge: Theoretical and Methodological aspects of critical discourse and dispositive analysis", In wodak. R and Meyer .M (eds), *Methods of critical discourse Analysis*, London, SAGE publication 2001.

- Meyer. Michael. "Between theory, Method, and Politics: Positioning of the Approaches to CDA". In wodak. R & Meyer .M (eds), *Methods of critical discourse Analysis*, pp14-31. London, SAGE publication 2001.

- Richardson. J. E, *Analysing Newspapers, An approach from critical Discourse Analysis* ,Palgrave, Macmillan, New York 2007.

- Van Dijk, T, "Principles of Critical Discourse Analysis", In *Discourse and Society*,Vol.4 (2) pp249-283, London, SAGE, 1993.

- ————,"Opinions and Ideologies in the press", In Allan Bell and Peter Garrett (eds). *Approches to Media Discourse*, pp-21-63, Oxford :Blackwell 1998.

- ————————, "Critical Discourse Analysis", In Deborah Tannen, Heidi E. Hamilton, & Deborah Schiffrin (eds), *the Handbook of Discourse Analysis*, Second Edition, Chichester UK, Wiley Blackwell Publishers, 2015.

- Wodak, R,"Pragmatics and Critical Discourse Analysis : A cross-.disciplinary analysis", In *Pragmatics and Cognition*.15(1), pp. 203-225, Amsterdam, John Benjamins Publishing, 2007.

المراجع الإلكترونيّة

- هيومن رايتس ووتش:

https://www.hrw.org/ar

- العفو الدوليّة:

/https://www.amnesty.org/ar

/https://chomsky.info/articles -

Alan.S.Gutterman.What are Human Rights?
https://www.researchgate.net/publication/366974072